

تفسير ابن كثير

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ^{قُلْ} قُلْ إِنَّا لِلَّهِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ

يخبر تعالى عن قيل المشركين : (لولا) أي : هلا (أنزل عليه آية من ربه) كما قالوا : (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) [الأنبياء : 5] وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة ، وإن الله قادر على إجابة ما سألوا . وفي الحديث : أن الله أوحى إلى رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهابا ، وأن يجري لهم ينبوعا ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين : إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا فإني أعذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : " بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة " ; ولهذا قال لرسوله : (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أي : هو المضل والهادي ، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا ، أو لم يجبههم إلى سؤالهم ; فإن الهداية والإضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه ، كما قال : (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) [يونس : 101] وقال (إن الذين حقت

عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [يونس : 96

، [97] وقال (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا

ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) [الأنعام : 111] ؛ ولهذا قال :

(قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أي : ويهدي من أناب إلى الله ،

ورجع إليه ، واستعان به ، وتضرع لديه .